

دراسة في التفكير المركّب والتعليم واستشراف المستقبل عند إدغار مُوران
**A Study of Complex Thinking, Education, and Future
Foresight by Edgar Morin**

أحمد ناشف

جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله (الجزائر)

Ahmed.nachef@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/04/13 تاريخ القبول: 2025/05/13 تاريخ النشر: 2025/09/01

ملخص: نحاول في هذا المقال بحث الطرح الموراني الذي يقترح براديغم جديد للمنظومة المعرفية والعلمية كمشروع ثوري وبديل، يقوم على أنقاض الإختزالات التي وقع فيها المشروع الحدائي الذي ظل يؤطر الفضاء الابستيمي. ومن ثم نسائل معه؛ ما أسباب فشل المشروع الحدائي؟ وكيف تمكن موران من بناء منظومة جديدة كجزء من مشروعه المسمى بالتفكير المعقد؟ قوامه الاستشراف ووسيلته تعليم المستقبل. وتأتي هذه الورقة كدراسة تحليلية استشرافية للمستقبل وفق الطرح الموراني المنفتح على القادم، وهو توجه جديد يقصي التفكير التبسيطي، ويستبدله بالفكر المركب، من حيث هو منهج عام للمعرفة النظرية، وتقاطعاتها الابستمولوجية، ومن ثم إعادة بناء قيم جديدة إستنادا على الحقل النظري المركب في السياسة، والتربية، والتعليم مستقلة، معتمدا في ذلك على أهم مصادر موران وكتاباتة.

كلمات مفتاحية: التعليم، الاستشراف، مورين، التفكير المعقد، التعقيد.

Abstract:

In this article, we attempt to examine Morin's approach, which proposes a new paradigm for the cognitive and scientific system, as a revolutionary and alternative project, built on the ruins of the reductions that the modernist project fell into, which continued to frame the epistemic space. We then ask along with him: What are the reasons for the failure of the modernist project? And how was Morin able to build a new system as part of his project called complex thinking? Its foundation is foresight, and its

means is teaching the future. This paper presents an analytical, foresight study of the future according to Morin's approach, which is open to the future. It is a new approach that excludes simplistic thinking and replaces it with complex thought, in terms of its general approach to theoretical knowledge and its epistemological keywords; education, foresight, Morin, complex thinking, complexity.

***المؤلف المرسل: أحمد ناشف**

1 - مقدمة:

إنَّ الثورات العلمية التي عرفها العصر الحديث، ولا سيما الفيزياء المعاصرة، مع ظهور النظرية النسبية وميكانيكا الكم، أزالَت مفهومي الحتمية واليقين. وبموازاة الثورة التي أحدثها علم الأحياء، ظهرت الفوضى بعد أن كان النظام عنوان كل الظواهر التي أعادت الذات إلى بيتها المعرفي بعد أن طردت منه باسم الموضوعية. مما دفع العلم إلى اتخاذ أبعاد جديدة للعلم، والتخلي عن أسس العلم الحديث بسبب ما دعت إليه الحقائق العلمية من ضرورة استبدال مبادئ العلم الكلاسيكي، التي تتطلب التمسك بالنماذج المعرفية التبسيطية والاختزالية التي تدعو إلى منهج ثابت، مما يؤدي حتما إلى إمكانية التنبؤ واحتمال وقوع الحدث على أساس التبرير العقلاني.

وهذا الأخير هو ما يقودنا إلى الحقيقة المطلقة. ومن خلال هذا الوضع الذي توجد فيه المعرفة العلمية والإنسانية، وفي خضم هذا التعقيد الذي يؤكد ضرورة استبدال الاختزالية التبسيطية التي تتطلب رؤية أحادية والبحث عن رؤية أكثر انفتاحا وأكثر عالمية للحقائق الجديدة. نجد نظرية المعرفة في التركيب والتعقيد تتدخل باسم أحد كبار فلاسفة هذا القرن، فلاسفة ما بعد الحداثة يقدمون مشروعا فلسفيا معرفيا متكاملا، وهو إدغار موران الذي يقدم لنا نموذجا جديدا يتمثل في التعقيد الذي يعتبره مبدأ كل المعرفة. لقد طور مشروع الفكر المركب كمشروع بديل يخرج الإنسانية من حاجز الاختزال والتبسيط نحو أفق التوليف والتكامل يقول موران في هذا السياق: "إن العلوم الإنسانية ليست على علم بالخصائص الفيزيائية والبيولوجية للظواهر البشرية. العلوم الطبيعية لا تدرك مكانتها في الثقافة أو المجتمع أو التاريخ. العلوم لا تدرك دورها في المجتمع. إن العلوم ليست على علم بالمبادئ الخفية التي تحكم توضيحاتها. فالعلماء لا يدركون

أنهم يفتقرون إلى الوعي "(Edgar. M 1982, P9-10) ، يضيف أيضاً: "ولكن في كل مكان تنشأ الحاجة إلى علم ذو ضمير. لقد حان الوقت لندرك مدى تعقيد الواقع بأكمله - المادي والبيولوجي والإنساني والاجتماعي والسياسي - وواقع التعقيد. لقد حان الوقت لندرك أن العلم المحروم من التفكير والفلسفة التأملية البحتة غير كافيين. الوعي بدون علم، والعلم بدون وعي يتم تشويههما وتشويههما (Edgar , M, 1982, p11)".

أسعى في هذا المقال إلى مساءلة الإشكالية المركزية التي دفعت موران إلى اقتراح النموذج الجديد لبناء المعرفة العلمية، بوصفها مشروع جديد يقوم على أنقاض الإخفاقات التي وقع فيها المشروع الحداثي وكبديل له. ولذلك نطرح السؤال التالي: ما أسباب فشل المشروع الحداثي؟ كيف تمكن موران من بناء قيم جديدة كجزء من مشروعه المسمى بالتفكير المعقد؟ وتأتي هذه الورقة كدراسة تحليلية استشرافية للمستقبل وفق الطرح الموراني المنفتح على القادم، وهو توجه جديد يقصي التفكير التبسيطي ويستبدله بالفكر المركب، م حيث هو منهج عام للمعرفة النظرية وتقاطعاتها الاستمولوجية، ومن ثم إعادة بناء قيم جديدة إستنادا على الحقل النظري المركب في السياسة، والتربية، والتعليم مستقلة.

2- مميزات التفكير المركب:

2-1- نقد نظرية المعرفة في التبسيط:

يعد نظام التبسيط من أهم المواضيع التي جذبت اهتمام الفلاسفة منذ القدم، لأن الحضارة تعتبر الوعاء الذي يحتوي على مختلف الأنشطة الإنسانية. لكن مع ظهور العصر الحديث، اتخذت الحضارة طابعا مختلفا خلافا لما كانت عليه من قبل، وذلك بسبب قيامها على أساس "نموذج التبسيط"، هذا المبدأ ينشأ من فكرة أن هناك مستوى واحدا فقط يمثل حقيقة العلم الخارجي، وأن هذا هو أبسط مستوى على الإطلاق. فالتحليل إذن هو أضمن أسلوب يمكن أن يعتمد عليه العقل للوصول إلى هذا المستوى، فمبدأ الاختزال المناسب بتفكيك الوحدات الأولى لتكوينه، وقد عملت معظم العلوم على مبدأ الاختزال، اختزال معرفة الكل إلى معرفة الجزء، كما أن تنظيم الكل ينتج عن خصائص أو خصائص جديدة لا توجد في الأجزاء المعزولة. ومبدأ الاختزال يستبعد كل ما يقبل الكم والقياس، وهذا ما دفع العديد من الفلاسفة إلى البحث في الموضوع، ومنهم محاولة موران.

والتي بدورها ركزت على تشخيص عيوب الحضارة الغربية التي أثرت سلباً على وضع الإنسانية المعاصرة. ولم تقتصر محاولاته على النقد وحده، بل تعدت ذلك لمحاولة إيجاد بديل لهذه المعرفة التبسيطية، ولذلك أجدني أتساءل عن ما هي أسس البنية الجديدة التي صاغ بها مشروعه الفلسفي؟

2-2-سيستام التبسيط:

يعرّف موران نظام التبسيط بأنه النظام الذي ينظم الكون من خلال إزالة الاختزال من الداخل، ومن هناك يتم اختزال النظام إلى قانون ومبدأ محددين. فالبساطة ترى إما الواحد أو الكثير، لكنها لا ترى أن الواحد يمكن أن يكون كثيراً في نفس الوقت. عمل البساطة هو فصل ما هو متصل (انفصال) أو توحيد ما هو متعدد (اختزال). (إدغار موران، 2004، ص 62).

وهكذا فإن نظام التبسيط هذا يقوم على مبدأين أساسيين: الفصل والنظام. يتم تقديم مبدأ الفصل على أساس أن دراسة أي ظاهرة أو حل مشكلة ما يتطلب تفكيكها وتقسيمها إلى عناصرها البسيطة. (إدغار موران، ع 29، ص 19) ويتوافق هذا المنهج مع القاعدة الثانية من المنهج الديكارتي وهي قاعدة التحليل. وقد ترجم هذا المبدأ في المجال العلمي بالتخصص ومن ثم التحديد الضيق والدقيق من جهة، ومن جهة أخرى يمكن اعتبار الحقيقة الموضوعية بمثابة اعتبار لاحق.

ونظام التبسيط عند موران له جذوره في فلسفة ديكارت الذي فصل الذات عن الموضوع، أي الذات المفكرة والشيء الممتد. (إدغار موران، 2004، ص 61) وقد صاغ ديكارت هذا النظام السائد في الغرب بفصل الذات المفكرة عن الشيء الممتد، أي بفصل الفلسفة عن العلم. وذلك بتأسيس أفكار واضحة ومتميزة كمبدأ للحقيقة، أي أن الفكر الانفصالي نفسه قد فصل الذات عن الموضوع وعمليات الانفصال الناتجة (الحس والعقل) والآخرين، وذلك من خلال تمييز الجوهر والفكر والجوهر. الممتد إذ يقول: "أنا أشك أنا أفكر وهذا يعني أنني كائن مفكر مميز عن المادة" (رونيه ديكارت، مقال الطريقة، 2008، ص 169) لقد ميز ديكارت بين النفس والجسد، كما ميز بين الحيوان والإنسان، من أجل بناء موضوع العلم.

3-2- نظرية المعرفة لبراديغم التبسيط:

يعتبر النظام هو المبدأ الثاني في الفكر الكلاسيكي، أو الأرسطي، الذي يقوم عليه نظام التبسيط، وهو الترتيب الناتج عن الإدراك الحتمي والميكانيكي للعالم. إن أي فوضى ظاهرة أو محسوسة هي نتيجة جهل مؤقت، لأن وراء هذه الفوضى الظاهرة نظام متفق عليه لا بد من اكتشافه. فاصبح العالم بهذا المبدأ يسير وفق نموذج موحد وهو ذلك بتبسيط العقل وتحويل هذا النظام إلى أفكار وإلى مذاهب وعقائد، وبذلك تقوّل العالم في صيغ جاهزة وهذا النظام يفى بالضرورة على التعدد والتنوع ، بحيث يكون عند وقوع ظاهرة طبيعية يكون إطراد وقوع تلك الحادثة وفق لقوانين معينة ولهذا يقول باسكال "من كل الأجسام مجتمعة لا يتيسر إبراز فكرة ولو ضئيلة إن ذلك مجال ونظام آخر" أي أن حدوث ظاهرة طبيعية يكون وفقا لأسباب واضحة ووفقا لقوانين معينة ثابتة (جميل صليبا، 1982، ص 481).

ذلك أن نموذج باسكال غير القابل للإكتشاف، وحالة الطبيعة المفترضة لدى روسو، سوف يتم استئصالها بشكل أكبر، وتصبح يتوبيا، مع زيادة منسوب الوعي، وتطور التاريخ وتنوع الحضارات؛ فإذا كان الرجال مختلفين في المكان ومع مرور الوقت، وإذا تحولوا وفقا للمجتمعات، فإن الطبيعة البشرية لم تعد موجودة كمادة خام مرنة لا يشكلها إلا الثقافة أو التاريخ. بل أكثر من ذلك، إلى حد أن فكرة الطبيعة البشرية وجدت نفسها معطلة بسبب المحافظة من أجل التعبئة ضد التغيير الاجتماعي، فقد تغيرت إيديولوجية التقدم، ووصل إلى أنه لكي يكون هناك تغيير في الإنسان، فلا ينبغي أن يكون هناك من الطبيعة البشرية. وهكذا، من جميع الجوانب، أفرغت من الفضائل والثروة والديناميكية (Edgar. M , 1973, p22).

لنلاحظ كيف تحولت الطبيعة البشرية إلى بقايا غير متبلورة، خاملة، رتيبة، هذا هو الإنسان وقد تخلى وبأي حال من الأحوال عن ما أسسها؟ ولكن لا تحمل الطبيعة في داخلها مبدأ التنوع كما يدل على ذلك ملايين الأنواع الحية؟ ألا يحمل مبدأ التحول في داخله التطور الذي أدى إلى الإنسان؟ وهل ستكون الطبيعة البشرية خالية من هذه الصفات البيولوجية؟ (Edgar. M , 1973, p22).

ويؤكد موران أن سعيه في هذا الاتجاه التنظيمي الذي ساد في العصر الكلاسيكي ليس فقط من أجل كشف أوجه التشابه السطحية، وإنما إلى استرجاع مبادئ التنظيم، ومبدأ تطور هذه المبادئ وخصائص تفرعها وتعددتها (Edgar, M 1982, 391) .، ويوضح موران ذلك بمثال

التالي؛ يعتقد أن للماء مزايا مميزة على الهيدروجين والأكسجين اللذان يشكلانه، ويضيف أن الكل أيضاً أقل من مجموع الأجزاء، لأن الأجزاء قد تكون لها مزايا نظام معين، وأن الكل أكبر من مجموع الأجزاء، أي أنه لا توجد مزايا واضحة تنشأ من تنظيم الكل.

يساعدنا هذا المبدأ على التفكير في ترتيب مستويات التنظيم والتماسك وتدخلاتها، إن تفكيره المعقد حول مبدأ استبدال فكرة الفوضى بفكرة النظام يهدف إلى وضع النظام والفوضى في وضع الحوار، ويرى موران أن النظام الديكارتي بمثابة رؤية مجزأة، ومشتتة، واختزالية، تقوم على تشتيت مجمع العالم إلى قطع منفصلة عن بعضها البعض، وتقسيم المشكلات وفصل ما هو مرتبط، معتمداً على الطابع الأحادي البعد عن الطابع متعدد الأبعاد.

كما يذهب موران إلى أنها نظرة قصيرة النظر كثيراً ما تتحول إلى نظرة عمياء، لأنها منقطعة، تقتل في المهد إمكانيات الفهم والتأمل، وتقلل من فرص بناء أحكام صلبة أو رؤى بعيدة المدى. وهنا نجد موران يسعى إلى بناء رؤية متكاملة للمعرفة تتقاطع بين الاختزال والكيمياء، ويبتعد عن النظام المغلق ويبني نظاماً مفتوحاً.

ويثبت ذلك من خلال فكرة المركب، التي ترى أن الكل لا يساوي دائماً مجموع أجزائه، بل يمكن أن يكون أكثر أو أقل، وفي الواقع لا يمكن للكل أن يكون كذلك. كونه كلياً في بعض الظواهر البيولوجية والفيزيائية. أحدهما متعدد الأشياء لها أبعاد متعددة، وهو ما يحاول تأسيس الآخر عند ديكارت كموضوع عندما اعتبر الجسد آلة وقابلة للتأسيس بواسطة العلوم البيولوجية والأنثروبولوجية.

ربما استطاع ديكارت أن يميز بين النفس والجسد ويفصل بينهما تماماً، لكنه فشل بالمقابل، في إدراك الوحدة بينهما، وشرح كيفية اتحادهما. وقد أشار برتراند راسل إلى هذه الحقيقة في كتابه تاريخ الفلسفة الغربية، مضيفاً أننا لا نستطيع دراسة العقل (الذات المفكرة) ومن ثم النفس دون الرجوع إلى المادة أو العالم الخارجي، ولا نستطيع دراسة المادة دون الرجوع إلى العقل أو الروح، لأن النفس هي المحرك للجسد. وفي هذا السياق يذهب موران إلى أن الخطأ الذي وقع فيه الفكر الغربي هو تفضيله للجزئي على الكلي، والعمل المخبري بمعزل عن الرؤية الموضوعية، وهذا واضح في اعتقاده: "يمكن فصل الجزء عن المجموع بينهما، لأنه ليس إلا عنصراً منه." (هوسرل، إ، 2008، ص 64) بينما يصعب علينا إعادة دمج ما قطعناه بالكامل بقطع صناعية أثناء التجارب اللاحقة.

1-3-2- العقل الأعمى :

وفي خضم قراءته للعقل الفلسفي، والمعرفي، والعلمي، والمنهجي المعاصر، يعترف موران بهيمنة نظام التبسيط على المستويات الوجودية، والمعرفية، والتربوية، والاجتماعية، والسياسية والأنثروبولوجية .

وهو ما يطلق عليه موران أخطاء العزل والتبسيط، أو الذكاء الأعمى، أو الحالة المعرفية والإنسانية المرضية. الذكاء الإنتاجي يقسم المجمع العالمي إلى أجزاء متميزة. فهو يقسم المشاكل ويحل المشاكل المترابطة. فهو متعدد الأبعاد وأحادي البعد، لذلك فهو ذكاء قصير النظر. (إدغار موران، 2012، 56)

فالعقل الأعمى حسبه يدمر الجماعات والكليات، ويعزل كل كائناتها عن بيئتها. فالعقل غير قادر على تمثيل العلاقة التي لا تنفصل بين الراصد والشئ المرصود، تحت سلطة مبادئ الفصل والاختزال والتجريد، التي تشكل في مجموعها ما يسمى بنظام التبسيط. " (إدغار موران، 2004، ص 15)

3- سيستم التركيب:

يعتقد موران أنّ البشرية جمعاء، والفكر الغربي على وجه الخصوص، قد شهدت براديغمات اتسمت بالطابع التحليلي، والتبسيطي، من خلال محاولات العلم، التي دعت إلى تبسيط الواقع البيولوجي، والاجتماعي، في القرن الثامن عشر، الذي شهد اكتشافات علمية ملحوظة، خاصة في مجال الفيزياء، التي كانت لها نظرة تبسيطية تزيل الغموض والالتباس. لكن هذا التصور الذي ظهر في هذا الوقت أفرغ الفكر من مضمونه، وأفرغ الإنسان من إنسانيته، عندما قام بإخضاع كل شيء لمبدأ التأويل المبني على فكرة والحتمية والنظام والقانون.

يعرف موران سيستم المركب قائلاً " إنّ الفكر البشري هو بعبارة هـ. سيمون عملية طرح وحل المشاكل العامة. وخلافاً لرأي شائع، يدفع تطوير القدرات العامة للفكر في اتجاه تطوير الكفاءات الخاصة أو المتخصصة. وبقدر ما تكون المهارة العامة قوية بقدر ما تكون قدرتها على تمثل المشاكل الخاصة كبيرة. ومن جهته، يتطلب فهم المعطيات الخاصة تفعيل المهارة العامة التي تشير تنظيم المعارف وتلقي الضوء على كل حالة خاصة على حدة. وينبغي للمعرفة، في سعيها

لبناء ذاتها بالاستناد للسياق وللشمولي وللمركب، أن تستنفر بالفعل كل ما تعرفه الذات العارفة عن العالم.". (إدغار موران، 2002، ص 38)

يمكننا القول مباشرة إنَّ العلم المركب لن يضطر أبداً إلى إثبات صحته من خلال القوة الاستدلالية التي يوفرها، بل على العكس من ذلك. من خلال إثراء وتغيير معنى الكلمة المراد معرفتها، إذ يدعونا التركيب لإثراء وتغيير معنى كلمة الفعل، والتي هي في العلم كما في السياسة، وبشكل مأساوي، عندما تريد أن تكون "تحريراً"، تصبح في النهاية "تلاعباً" و "استعباداً" (إدغار موران، 2021، ص 12-7). من الآن فصاعداً، وبغية مقاومة الهيمنة، تماماً مثلما هو الحال مع جميع أشكال القسوة والهمجية، يقترح موران: "مبدأ العمل الذي لا يأمر بل ينظم، ولا يتلاعب بل يتواصل، ولا يأمر بل يحفز". (إدغار موران، 2021، ص 12-7)

سعى موران إلى توضيح خصائص التفكير المعقد من خلال انتقاد التفكير التبسيطي، الذي يعتمد على مبدأ الواقع المجزأ والمفكك، ولا شك أن ذلك سيقودنا إلى ما يشوه المعرفة ويشوه الواقع، على حد تعبيره، حيث رأى أن معظم علوم القرن العشرين تعمل على مبدأ الاختزال، لذلك يمنعنا هذا المبدأ منعاً باتاً من رؤية التفاعلات والارتدادات والسياقات، وكذلك المكونات التي تربط التحقيقات المعرفية.

ومن ثم يحاول موران أن يقدم لنا نموذجاً جديداً بديلاً يسد ثغرات النموذج الاختزالي، الذي يستبعد التوليف البشري تماماً ويعيد الفاعل الإنساني (المدرّك) الذي اختزله إلى ما هو تحته. على عكس الموضوعية، يعتبر نموذج التعقيد أو البنية نموذجاً معرفياً للتفكير المعقد. ويعتبر أيضاً فشل التفكير الاختزالي في تفسير الظواهر الجديدة والمعقدة.

فالعملية العلمية تتطلب منا البحث عن نموذج علمي جديد، كما عبر عنه توماس كون. والذي قال: "إن الظهور المستمر للثورات العلمية نتج عن عجز النماذج عن فحص المظاهر الواقعية، فنشأت أزمة وظهرت نماذج معرفية جديدة" وهكذا، وهذا ما يحدث مع النموذج الاختزالي، فإنه يصبح عاجزاً وغير قادر على مواجهة أشكال التعقيد التي تنتجها اكتشافات العلوم الفيزيائية. النموذج الجديد الذي يقترحه موران يتمثل في التعقيد الذي لا يشكل في الأساس المبدأ المسيطر الذي يراقب الواقع، بل النسيج العرضي الموجود داخله والذي يشكل العالم. (إدغار موران، 2004، ص 104) وهذا يعني أن موران يقبل التعقيد كمبدأ فكري ينظر إلى العالم في ذاته، وليس كمبدأ يكشف عن جوهر العالم.

1-3- العقلانية المغلقة:

العقلانية هي الاعتراف بأولوية العقل وأن المعرفة تنشأ من مبادئ ضرورية حقا. وعلى النقيض من ذلك نجد أيضًا أن إدجار موران من جانبه عرّف العقلانية بقوله: "إنها رؤية عالمية تؤكد على الاتفاق التام بين ما هو موجود". هو عقلي (التناسق) وواقع الكون ، فهي إذن تقضى من الواقع كل مالميس عقليا وكل مالميس ذا طابع عقلي" (محمد سبيلا، 2008، ص7) ولذلك يبدو لنا بوضوح أنه مستمد من العقل.

ويرى موران أن وجهة نظر فلاسفة القرن التاسع عشر كانت وجهة نظر عقلانية بحتة. لقد جعلوا العقل مصدراً إلهياً يمكنهم الرجوع إليه في كل شيء، ورفضوا كل الأساطير والأديان. أي أنهم يقعون في التفسير التبسيطي لعالم لا يستطيع العقل فهمه وفهم خصائصه، لأن هذه الحقيقة والقوة الدينية والأسطورية مهمة للإنسان. (إدغار موران، 2004، ص72)

وعليه نجد موران يعرض أنواع العقلانية الكلاسيكية التي أصابت النظام المباشر والطبيعي والإنساني بحمى شديدة طغت عليه. ولذلك فهو يعتبرها مصنع الموت الكبير والمشروع المدمر بامتياز للبشرية جمعاء. وهي أن الروح نفسها هي المسؤولة عن تواطؤها في الحصار والموت، لدرجة أنها أصبحت انتهائية وفقدت استقلالها وحيويتها.

ومنه يتبين لنا أن العقلانية قد سقطت في التبرير العقلاني الذي يحيل كل الأسئلة إلى العقل ويعلقها. لذلك، كانت العقلانية الكلاسيكية عقلانية مغلقة ومجردة وأحادية البعد. ويمكننا القول إنها عقلانية مشوهة تفسر كل شيء بطريقة منطقية محدودة. ورغم أنه يرفض كل أشكال الخرافات والسحر إلا أنه يقدم لنا نوعاً آخر وهو: "أسطورة العقل" التي لا يستطيع أحد منا الهروب منها، لأن العقل المنغلق، حسب قوله، يتجنب الكثير من شظايا الواقع ويرفض فكرة فهمها. وهنا تتجلى العقلانية الغربية، وهي عاجزة عن فهم هذه المسارات الجديدة التي أنتجها العلم، لأن مبادئها تعتمد على الرفض العالي لتصور التناقضات، لأنه "لا يوجد عقل ثابت يحكم جميع نماذجنا المعرفية". (غاستون باشلار، ص9)

ولذلك يرى موران أننا نقوم بفعل التبرير لأسباب غير معقولة. لأن العقلنة هي المرض الخالص الذي يمكن أن تتعرض له العقلانية إذا لم تتجدد باستمرار من خلال فحص الذات والنقد. (إدغار موران، المنهج، 2013، 354) سوف يصبح شرّاً يحتوي العالم ويمتلكه. ولذلك دعا موران

إلى تجاوز العقلانية الضيقة المنغلقة التي لا تقبل النقد المستمر، واستبدالها بعقلانية أخرى هي العقلانية المنفتحة التي تحاور الواقع .

ولأن العقلانية الحقيقية تعرف حدود المنطق، وحدود الحتمية، وحدود الآلية، فهي ثمرة مناقشة الأفكار وبالذات والحجج تعلمون أن الفكر الإنساني لن يكون كلي العلم وأن الواقع يحمل أسراراً وألغازاً. (إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، ص 58) وهي عكس العقلانية المنغلقة التي منعت الغرب من فهم الحقائق الأخرى، لأن العقلانية الحقيقية تتعامل مع اللاعقلانية والغموض واستحالة العقلنة". (إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، ص 58) لأن معظم المجتمعات، بما فيها المجتمعات الغربية، بحسب موران، مليئة بالأساطير والدين والسحر، ومن بينها أسطورة العقل الموهوب وأسطورة عبارة التقدم .

بل ويذهب موران إلى ما هو أبعد من هذه العقلانية المرتبطة بالعقلانية المنفتحة، وهي ليست انتقادية فحسب، بل تنتقد نفسها أيضاً لأن العقلانية، مثل رأيه، ترفض تصور الواقع كلياً في نظام منطقي، بل تسعى إلى الحوار حول ما يعارضه، كما يقول موران "هي اللعب ن هي الحوار الدائم بين فكرنا الذي يلقي بنيات منطقية ويطبقها على العالم الخارجي" (إدغار موران، 2004، ص 71) يسعى إلى نسبية المنطق الكلاسيكي بعد أن كان مطلقاً، ويحاول أن يدخله في مجاله، لأنه يبقى دائماً منفتحاً على ما يعارضه، ولا ينغلق على نفسه داخل حدود مغلقة .

2-3- ابستمولوجيا التركيب؛ نظرية المعرفة للتعقيد:

إن فكرة التعقيد التي قدمها موران تحمل في طياتها استحالة التوحيد واستحالة الاكتمال. كما أنها تحمل جزءاً من عدم اليقين وجزءاً مما لا يقبل التحديد المباشر والاعتراف بما لا يمكن قوله. وعلى عكس النموذج التبسيطي الذي يقول الأحادية والشمولية والمطلقة، فهو يرفض عدم اليقين ولا يقبل إلا اليقين. من سيتوافق ويلتقي. (إدغار موران، 2004، ص 77)

إن نظرية المعرفة للتعقيد هي وحدة تجمع بين عمليات التبسيط التي تقوم بالاختيار والترتيب والفصل وغيرها من العمليات المتعارضة. وقد أدرك باسكال ذلك قبل موران، معبراً عنه بقوله "أرى أنه من المستحيل معرفة الكل دون معرفة الأجزاء جزءاً بعد جزء" بالنسبة لباسكال، المعرفة هي رحلة من الكل إلى الأجزاء (Edgar.m, 2011, 153). وعليه فإن العلاقة بين مبدأ

الاختزال الديكارتي وتعقيد موران هي علاقة تكاملية، لأن موران يرى أن الفكرة الأساسية للتعقيد هي القول بأن هذا الجوهر لا يمكن تمثيله، لأن التعقيد يتضمن البساطة.

3-3- التفكير المعقد يعوض التفكير التبسيطي:

شهد أوائل القرن العشرين ظاهرة انهيار القيم الإنسانية والأخلاقية على كافة المستويات، مما دفع بعض المفكرين إلى التساؤل عما إذا كانت هذه مشاريع سياسية للتنوير أم مغامرة لإعادة تأسيس برامج فلسفية روحية في وقت كانت تقع فيه أحداث مأساوية هزت ثوابتنا وجردت مصداقية قيم الحداثة.

في الان ذاته الذي تكثف فيه المجتمعات جهودها للبحث عن قيم جديدة، أصبح سؤال القيم مؤشرا على كل التحولات التي تعيشها مجتمعاتنا، وذلك بسبب التأثير المزدوج الناجم عن انتشار ظاهرة العولمة، والتكنولوجيا الحديثة كخطوة ضرورية وثورة حتمية على المبادئ، والأخلاق، التي خلّفت الفكر الحداثي.

ويكون موران أحد الرواد الذين حملوا معيار النقد، وكان فلسفة المستقبل. وهو يتناقض مع الفلسفة التي كانت سائدة في عصر الحداثة، توجه يسعى إلى وضع أساس لرؤية مركبة للمستقبل، وسياسة حضارية تقوم على الاستشراف المركب لمواجهة السياسة الحضارية، أو مخلفات الحداثة وما بعدها. ثم ما هي الوصفات التي يقدمها الفكر المعقد لهذه الحالة المتأزمة، التي أدت إليها قيم الحداثة الفلسفية؟ أو ما هو مضمون السياسة الحضارية التي صاغها إدغار مورين كبديل للمشروع الحداثي التبسيطي؟

1-3-3- التطلع إلى المستقبل:

تلك التطورات المتسارعة والملفتة للنظر في العالم المعاصر، والمتقدم، أسترعت الاهتمام وأستوجبت دراسات معمقة، تركز على عواقبها في المستقبل، قصد تجنب جوانبها السلبية، وتطوير ما هو أفضل فيها للمستقبل، وهذا النوع من الدراسات يمكن تصنيفه ضمن (علم استشراف المستقبل).

وفي هذا السياق الاستشرافي نجد محاولة الفيلسوف إدغار موران الذي يجعل من استشراف المستقبل، وسيلة يرمي من خلالها إلى صياغة نظرية بديلة لمستقبل قابل للعيش، منتقدا معظم أنواع الاستشراف السابقة في صيغتها الفلسفية وغير الفلسفية.

2-3-3-نقد موران للبصيرة الفلسفية وغير الفلسفية:

إن النقد الذي يقدمه موران للبنية التي تؤسس الحداثة الغربية، ما هو في الواقع إلا محاولة لإظهار مدى عبث الاستبصار، سواء في جانبه الفلسفي، خاصة عند ديكرت، أو في شقه العلمي، مع الأهداف العلمية التي حددها مشروع التنوير والتقدم.

وقد عبر موران عن حقيقة هذا الاحتمال بقوله: "كان منظور الستينيات يطرح فكرة هي أن الماضي معروف جدا والاضر معروف بجلاء وأن قاعدة مجتمعاتنا مستقرة، وأن المستقبل يصنع على هذه الأسس المضمونة من جانب الاتجاهات السائدة في الاقتصاد والتقنية والعلم...يعتقد أنه يستطيع التنبؤ بالمستقبل". (إدغار موران، مقدمات، ص 295)

ويعني بذلك أن النظرة التي كانت سائدة في الستينيات كانت متفائلة للغاية بنتائج العلم وأن التطور الذي حققه العلم، وخاصة فيما يخص التكنولوجيا، وهو ما من شأنه خلق مستقبل مشرفا للإنسانية. ويعتبر موران وجهة النظر هذه إن هي إلا رؤية وهمية من وجهة نظر التمثيل التبسيطي، الذي يرى أن الماضي والحاضر معروفان، وأن عوامل التطور معروفة، وأن مبدأ السببية مبدأ كاذب، وأنه يمكن التنبؤ بالمستقبل على هذا النحو. ويوضح موران هذه الرؤية وفق الرسم البياني التالي: الماضي — الحاضر — المستقبل

(معلوم) (معلوم) (يمكن أن يكون موضوع علم، أي يمكن التنبؤ به)

بناءً على هذا الرسم البياني يتضح لنا أن انتقاد إدغار موران للاستشراف الذي كان سائدا في الستينيات، كان بسبب نقده الأساسي لنظام التبسيط، لأن هذه النظرة الاستشرافية تقوم أساسا على التفكير التبسيطي، غير أن موران رفض هذه النظرة التبسيطية لمسار التاريخ، لذلك أكد على ضرورة التخلي عن أي فكرة للتقدم تؤدي إلى الحتمية التاريخية.

3-3-3- نحو رؤية مركبة للمستقبل :

يحمل إدغار موران رؤية جديدة قوامها رفض الرؤية التبسيطية السابقة، التي اتخذت أساسها النظرية العقائدية للمستقبل المضمون، بالإضافة إلى فكرة الحتمية التاريخية وأن التاريخ ينكشف على مسار خطي واحد. لكن أطروحة موران حول استشراف المستقبل تذهب إلى أبعد من ذلك، عندما صورة جديدة تتفق مع فكرة المركب، وقد وهب كتابه "إلى أين يتجه العالم" للبحث في هذا المجال. حيث يتساءل عن الاتجاه الذي سيتخذه العالم في المستقبل. ويناقش في كتابه ضرورة التخلي عن المفهوم التبساطي الخطي للعملية التاريخية واستبداله بمفهوم معقد باسم الاستشراف الجديد.

تنبني نظرية موران حول تصور معقد مدمج للمستقبل، والذي يعتقد أنه سيكون مزيجاً غير معروف من الأشياء المتوقعة وغير المتوقعة. وبالتالي يكون المستقبل ضروري لمعرفة الحاضر، وهو الذي سيجري الاختيارات ضمن الأفعال الرجعية التي تشكل الحاضر، وهو الذي سيكشف لنا العوامل الحقيقية العاملة في المستقبل.. (أدغار موران، إلى أين يسير العالم، ص 12) وهذا يعني أن رؤية المستقبل المعقد يجب أن تجمع بين معرفتنا بالماضي والحاضر والمستقبل، لأن المستقبل ضروري لمعرفة الحاضر.

فالمستقبل يكفي ليجدد لنا قيمة حاضرننا، بما أنه هو نفسه سيتحول إلى حاضر نعيشه ونحكم عليه، ومن هذه القيمة نستمد مختلف الآمال الإيجابية لغد أفضل وصالح للعيش.

4- الاستشراف في التعليم:

موضوع فلسفة التعليم هو الإنسان، وهو هدف التعليم نفسه، والإجابة على السؤال التربوي تعتمد في النهاية على فلسفتنا في الحياة. إن كل نظام له هدف هو التعليم، والمجتمع البشري هو هدفه، وينشغل الفلاسفة والمفكرون والتعليم بصياغة تصوراتهم لأهداف الحياة وأهداف التعلم والمناهج الدراسية. ويكون التعليم من أكثر موضوعات الفكر المعاصر بحثاً ودراسة، حيث يحتل التعليم مكانة مهمة في أعمال مورن الذي قدم كتابه في اليونسكو تحت عنوان "تعليم المستقبل"، معبراً عن آرائه حول جوهر التعليم في سياق رؤيته لوحدة المعرفة كأسلوب جديد لاستشراف المستقبل يعمل على إعادة توجيه التعليم نحو التنمية المستدامة.

قدم موران سبعة مبادئ أساسية يراها ضرورية للتعليم المستقبلي. (إدغار موران، تربية المستقبل، ص14)

1-4- تربية المستقبل:

للتعليم دور مهم في تكوين الفرد والمجتمع. ذلك أنه يهتم بالسلوك الإنساني ويؤهله على مستوى الحدث التاريخي المسؤول عن بناء الحضارة، يلعب التعليم دوراً مهماً في قوة المستقبل لأنه من أقوى الأدوات لتحقيق التغيير. ولذلك، لا بد من إزالة الحواجز التقليدية وإعادة تشكيل سياساتنا وبرامجنا التعليمية، ثم أنه علينا أن نصون هذا التوجه إلى أبعد مدى من أجل المستقبل الذي نتحمل أمامه المسؤولية الكبرى (إدغار موران، تربية المستقبل، ص13) ولقد ورد في المعجم الفلسفي لجميل صليباً " أن التربية هي تبليغ الشيء إلى أعماله أو هي تنمية الوظائف النفسية بالتمرين في تبليغ كمالها شيئاً فشيئاً". (جميل صليباً، المعجم الفلسفي، ج2، ص366).

ذلك أن استشراف مستقبل التعليم أمر مهم وضروري، باعتبار أن الإنسان في عملية التغيير هو الهدف والوسيلة في نفس الوقت، مع مرور الأهداف المستقبلية للإنسانية. إلا أن نظام التعليم وهدف التعليم هو العمل على إيصال الإنسان إلى كماله الإنساني. فإذا كان الإنسان يخلق صورة مستقبلية لنفسه أو لمجتمعه أو للإنسانية جمعاء، وكانت لديه الإرادة لتحقيق هذا الهدف المستقبلي، فهذه هي القوة الدافعة لنشاطه، ويمكن القول إن استشراف مستقبل التعليم يكمن في مجموعة المبادئ أو الأسس والممارسات والعمليات التي يتم بموجبها تكييف النظم التعليمية لتلبية المهارات بما يتوافق مع متطلبات العولمة وتحدياتها السياسية والاقتصادية والفنية والثقافية.

2-4- خصائص تعليم المستقبل:

إن الحاجة إلى إصلاح التفكير بحسب رؤية موران تتطلب ترسيخ الصفات والخصائص للارتقاء بالمستقبل، وهي المعرفة الضرورية لتحقيق تعليم المستقبل، لأن التعليم الجيد للإنسان هو ما يبني الفرد الواعي في جميع المجالات، وعلى هذا الأساس يعتبر التعليم ضرورة إنسانية بحسب "إدغار موران" من خلال ما يلي:

1-2-4- حسن الظن:

ويرى موران أن التعليم الذي تلقيناه في القرن العشرين علمنا فصل المعرفة وتجزئتها وعدم ربطها، وسرعان ما تحول ذلك إلى عقدة يصعب فهمها عند النظر إليها ككل. كما أن هذا الاتجاه الاختزالي الديكارتي يستبعد كل ما يقبل الكم والقياس، وبالتالي ينسى إنسانية الإنسان. كما أنه يخفي أي قضايا رئيسية لصالح القضايا الفنية المتخصصة. ولهذا يدعو موران إلى ضرورة إصلاح الفكرة التي يمكنها تفصيل المعرفة وتنظيمها وبالتالي تمثيل مشاكل العالم ومعرفة بشكل أفضل. والحال أن مثل هذا الإصلاح يجب أن يكون في نظامنا وليس في برنامجنا، وهذا يتعلق بمسألة التعليم الابتدائي، لأنه يتعلق أكثر من أي وقت مضى بقدرتنا على تنظيم المعرفة المرتبطة بالواقع والمشكلات التي أصبحت متعددة التخصصات في بنية متعددة وعالمية وكوكبية. (إدغار موران، تربية المستقبل، ص36)

إن سياق المعرفة شرط ضروري لتعليم المستقبل، وهذا ما أكد عليه موران. ولا يمكن على الإطلاق اعتبار المعرفة أداة جاهزة يمكن استخدامها دون فحص طبيعتها. ولذلك فمن الملح معرفة المعرفة كسلاح لمواجهة الأخطار الدائمة لموضوع مثل الخطأ والوهم الذي لا يتوقف عن إرباك العقل البشري. (إدغار موران، تربية المستقبل، ص37)

وفيما يتعلق بالمبدأ المعقد الثالث، يرى موران أن المعرفة ضرورية لمواجهة ما هو معقد. لدراسة العنصر الاجتماعي والأخلاقي والسياسي والنفسي. وغيرها، بحيث تكون هناك علاقة ارتباط وتفاعل بين موضوع المعرفة وسياقاته، وبين الجزء والكل، والأجزاء بينهما، كما يستدعي مراعاة تطورات عصر الكوكب في مواجهة تحديات ما هو معقد.

5- خاتمة:

يتجه بنا التحليل الى ضرورة الاستثمار في الاستشراف، باستعمال التعليم من أجل المستقبل، الذي هو أحد أهم ركائز مشروع السياسة الحضارية الذي يتبناه موران، ويسعى إلى ترسيخ مرتكزاته

فالنقد الذي يوجهه موران للنماذج التبسيطية التي هيمنت على الفكر الغربي منذ القرن السابع عشر مكن من تحقيق تقدم كبير في المعرفة العامة والفكر الفلسفي، وأن آثاره الضارة لم تبدأ في الظهور إلا في القرن العشرين. ذلك أن النموذج التبسطي قد أغرق الحضارة الغربية في أزمات خطيرة، والحل الوحيد لهذه الأزمات هو إيجاد نظرية معرفية جديدة، سمّاها التفكير المركب.

ولتجاوز أزمة الحداثة وأسبابها. وقد أثرت هذه الأزمة على كافة المجالات، سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية أو حتى السياسية، التي أصبح الإنسان فيها مغيب. وعملت الحداثة منذ ظهورها على وضع الإنسان في مركز كل أطروحاتها. ومن هنا الإيمان بقدرة الإنسان على الوصول إلى الحقيقة. لم يكن الهدف من الدراسات المستقبلية التنبؤ بالمستقبل كما يفهم. ولكنها تسعى جاهدة إلى إيجاد نماذج بديلة، تعمل جميعا في وضع آليات تكريس التعليم المستقبلي الاستشرافي، القادر على تثقيف مصير الإنسانية ورفع الوعي الإنساني بالسياسات الحضارية نحو وضع بشري أفضل.

6- المراجع:

- 1-Edgar Morin, *Science avec conscience, nouvelle editions*, Librairie Arthème Fayard, 1982, pp.9-10.
- 2-Edgar Morin, 2011, *Ou va le monde*, Editions de L'herne, Paris.
- 3-----,1999, *Les sept savoirs nessecaires a l'education du futur*, UNESCO, Paris France.
- 4-Edgar Morin,1973, *Le Paradigme perdu (sous-titré La Nature humaine)* est un essai rédigé par Edgar Morin et publié par Le Seuil . P.22.
- 5-----, *Enseigner a vivre, Manifestation pour changer l'education*,
- 6-----, 1982, *Science avec conscience, nouvelle editions*, Librairie Arthème Fayard,.
- 7-إدغار موران، 2004 الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، تر: أحمد القصوار منير الحجوجي، دار بقال للنشر، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1.
- 8-إدغار موران ، نحو براديغم جديد ، تر:يوسف تبيس ، مجلة رزق تربوية ، العدد التاسع والعشرون ، المغرب
- 9-روني ديكارت، 2008، مقال الطريقة، تر، عمر الشاروني ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت.
- 10-إدغار موران 2009، نحو براديغم جديد ، فلسفات عصرنا، تر، إبراهيم صحرأوي ، دار العربية للعلوم ، الجزائر.
- 11-جميل صليبا، 1982 المعجم الفلسفي ، مادة النظام ، ج 2 ، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- 12-إدموند هوسيرل، 2007 فينومونولوجيا : تر، فتحي إنقرو ، دار النشر المنظمة العربية ، بيروت
- 13-إدغار موران، 2012 هل نسير إلى الهاوية ؟ تر، عبد الرحيم خول ، افريقيا الشرق ، المغرب ،
- 14- إدغار موران، تربية المستقبل (المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل)، ترجمة: عزيز لزرق ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر (الدار البيضاء)، ومنشورات اليونيسكو(فرنسا)، ط1
- 15 - إدغار موران قرن من الحكمة في ثلاثة دروس، ترجمة، رولا سرحان، مجلة تدوين الإلكترونيّة: 12-07-2021 .
- 16-محمد سبيلا ، عبد السلام ، 2007 العقل والعقلانية ، سلسلة دفاتر فلسفية ونصوص مختارة ، عدد 9 ، دار توبقال للنشر والتوزيع ط2

- 17- غاستون باشلار، العقلانية التطبيقية ، تر، بسام الهاشم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ط 1.
- 18- عبد الرحمن بدوي ، 2011 ، فلسفة الدين والتربية عند كونت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 1 ،
- 19- إدغار موران، 2022 دروس قرن من الحياة، ترجمة: خالد كدري، دار صفحة سبعة للنشر والتوزيع . المملكة العربية السعودية، ط 1